فضل مهاجرة الحبشة رضوان الله عليهم

فالذين هاجروا إلى الحبشة قد حازوا شرفاً وقدراً عظيمين، كما نالوا فضلاً كبيراً غير مسبوق، لأنهم أول من هاجر من أمة محمد ﷺ، هاجروا إلى الله، ويكفيهم شرفاً أنهم خرجوا إلى الحبشة بأمر رسول الله ﷺ دفاعاً عن دينهم وشرفهم معلنين بذلك الرفض المطلق لكل ما يؤدي إلى الخضوع لغير الله سبحانه وبهذه الخطوة المباركة تحققت لهم الهجرة الأولى، ونالوا فضلها وأجرها، وبعد زوال أسباب وعوامل الهجرة إلى الحبشة سارع هؤلاء إلى الهجرة الكبرى الواجبة على المسلمين فتوجهوا إلى المدينة المنورة فكانت أنفسهم تواقة إلى تلك الهجرة واللقاء مع رسول الله ﷺ وصحبه الكرام.

ومن ناحية أخرى فإنهم يدخلون عموم المهاجرين إلى المدينة المنورة وتلك هجرة أصبحت واجبة على كل مسلم ومسلمة حتى فتح مكة إلا من عجز عنها بسبب أو بآخر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1].

ويقول الله عز وجل في آية أخرى عن المهاجرين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٤.

ويقول الله عز وجل في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ومن تلك الآيات التي تذكر فضل المهاجرين بصفة عامة وما لهم من نعيم مقيم وفوز عظيم. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

فلقد تحقق لهم السبق كله، فهم السابقون الأولون في إيمانهم واتباعهم برسول الله ﷺ، فهم أول من آمن برسول الله ﷺ حين أعرض عنه الناس وحاربه المشركون، وبسبب إيمانهم تعرضوا لكل صنوف التعذيب والإيذاء النفسي والبدني ودفع هذا الأمر المهاجرين إلى هجرتهم، إذاً فهم السابقون الأولون في الهجرة لأنها أول هجرة في هذه الأمة.

ويصدق عليهم وصف السابقين الأولين في الهجرة إلى المدينة إذ هاجر بعضهم من الحبشة إلى المدينة المنورة بعد سماعها مباشرة استجابة لذلك حتى تمكنوا من اشتراك غزوة بدر الكبرى كما علمته سابقاً.

فإن كان المهاجرون أفضل من الأنصار حيث يقدم القرآن الكريم المهاجرين على الأنصار بصفة عامة كما لاحظت في الآيات السابقة وغيرها، فإن المهاجرين إلى الحبشة ثم إلى المدينة أفضل من حيث الهجرة ممن اقتصرت هجرتهم إلى المدينة المنورة ولم يشترك في الهجرة إلى الحبشة.

---

(١) سورة التوبة: الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لقيت أسماء بنت عميس عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقال: نعم القوم أنتم لولا أنا سبقناكم بالهجرة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «بل لكم الهجرة مرتين، هجرة إلى أرض الحبشة وهجرة إلى المدينة»[1].

وفي رواية أخرى أكثر تفصيلاً يروي لنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وفيها من فضائل مهاجرة الحبشة ما تقر به العيون.

عن أبي بردة عن أبي موسى قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: بضعاً وإما قال: ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، قال: فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم.

قال: فكأن ناساً من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة نحن سبقناكم بالهجرة، قال: فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر: حين رأى أسماء من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه، فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت كلمة: كذبت يا عمر، كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني حققه الدكتور محمد راضي، الجزء الأول، ص ١١٤ - ١١٥، ط. الأولى عام ١٤٠٨ هـ - ١٤٠٨ م، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ومكتبة الحرمين بالرياض. «إسناده جيد».

أرض البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وأيمُ الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذي ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ، قال أبو بردة: فقالت أسماء، فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني»[1].

وعن عامر الشعبي قال: قالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إن رجالاً فخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين، قال: «بل لكم هجرتان»[2].

إن الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ما ترك مجالاً للنظر لأن أسماء بنت عميس وموقفها من عمر وأسئلتها الموجهة إلى رسول الله ﷺ وضعت الأمور في نصابها، ثم تلقت الأجوبة الشافية الكافية من رسول الله ﷺ، وقد سعدوا وسروا سروراً عظيماً مما سمعوا من رسول الله ﷺ فلهم كل الحق أن يفرحوا لأنهم حصلوا على شهادة لا تعدل بها أي شهادة.

ومما يدل على فضلهم ما ورد في الحديث من أن الرسول ﷺ أشرك أهل السفينة مع غيرهم في غنيمة خيبر تقديراً لجهودهم الجبارة ومهما يكن فإن هذا له دلالته على فضلهم، وكأنهم قد اشتركوا في الحرب، وهذا ما افتخر به أبو موسى الأشعري رضي الله عنه كما أن هذه الرواية أوضحت بجلاء أن إقامتهم الطويلة في الحبشة أو تأخرهم عن الهجرة بعض الشيء لا يعود إلى رغبتهم الشخصية وحبهم للإقامة هناك، بل لبثوا في تلك الديار كل تلك المدة بأمر

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، الجزء السابع، ص ١٧١، «فضائل جعفر وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم».

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، الجزء الأول، الحديث ١٣، ص ١١٥ - ١١٦.

رسول الله ﷺ. فكما هاجروا إليها بأمر وأذن رسول الله ﷺ أقاموا فيها بأمر رسول الله ﷺ، ونظر إلى ما قاله جعفر لأبي موسى الأشعري وإخوانه قال جعفر: «إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا» فما دام المهاجرون بقوا في الحبشة بأمر رسول الله ﷺ حتى جاء إليهم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه حاملاً كتاب النبي ﷺ، فهل تأخرهم هذا يقلل قيمتهم الجهادية ويضعف فضلهم؟ «كلا بل يزيد فضلهم لأنهم كانوا مرابطين في سبيل الله بأمر رسول الله ﷺ، وتلاحظ كيف استجابوا لأمر النبي ﷺ فلم يتأخر أحد منهم في الحبشة لأن المسألة لم تعد اختيارية».

أحكام فقهية ارتبطت بهجرة الحبشة:

الكنائس والقبور:

إن السياحة في أرض الله مفيدة شريطة أن تكون هادفة ونبيلة وبعيدة عن مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى، إنها بهذا المعنى تثقف الإنسان وتزوده بمعلومات جديدة تتعلق بحياة الأمم والشعوب والمناخ والتضاريس يمكن أن يستفيد منها السائح في حياته الخاصة والعامة، إما أن يكسب منافع تجلب إليه الخير والسعادة وإما أن يكسب خبرة يستفيد منها في بقية حياته ويأخذ الاحتياطات اللازمة وتلك مفيدة لأن الإنسان يعرف من خلال تجاربه كيف يتقي من الشرور والأخطار المدمرة، إن الهجرة ضرب من السير في الأرض ولكنها سير من نوع خاص، يقول الله عز وجل: ﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

إن من فوائد هذه الهجرة المباركة أن أصحاب رسول الله ﷺ رأوا في

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.

الحبشة أموراً كثيرة بالحياة الدينية، ومنها الكنائس الكبيرة وما فيها من صور وتماثيل، ونقلوا تلك المعلومات، ورووا أخبارها وتحدثوا فيما بينهم عند رسول الله ﷺ، فعندما سمع رسول الله في آخر حياته ما يدور بين المهاجرات وإخواتهن وجههن نحو الغاية السليمة، وحذرهن من التشبه بهؤلاء النصارى وغيرهم، وأخبرهم عليه الصلاة والسلام السبب الحقيقي لوجود تلك الصور والتماثيل، ليعرفوا حقيقة الأمور.

فعن عائشة رضي الله عنها، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله[1] ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت: فلولا ذلك ولم يذكر قالت»[3].

الصلاة على الميت الغائب[4]:

إن الصلاة على الميت الغائب فريضة في ديننا وتلك الصلاة مرتبطة بالهجرة إلى الحبشة لأن الرسول ﷺ صلى على النجاشي رحمه الله تعالى وقد مات بأرض الحبشة، واعتمد الفقهاء بإقرار هذا الحكم على الأحاديث الواردة في الصلاة على النجاشي. وما سوى ذلك لم يسلم من مقال. والله أعلم.

المعانقة والتقبيل، وعن ابن عباس رضي الله عنه «لما قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبل بين عينيه قال علي بن برهان الدين بعد أن ساق الحديث، وجعل ذلك أصلاً لاستحباب المعانقة»[5].

---

(١) تلك التصاوير لرسول الله عيسى عليه السلام أو مريم كما يفعل النصارى عادة.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٦٦.
(٣) المصدر السابق، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٦٧.
(٤) راجع المبحث «النجاشي في مصادر الفقه».
(٥) علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، المجلد الثاني، ص ٧٥٦ - ٧٥٧.